شهادة الله لنفسه بالوحدانية
في القرآن الكريم

"دراسة عقدية حول قوله تعالى:
﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾"

إعداد:

د. إبراهيم بن عبد الله الحماد

د. إبراهيم بن عبدالله الحماد

- الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
- حصل على درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : (منهج الخطابي في العقيدة)
- حصل على درجة الدكتوراه من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته :
(الآثار الواردة عن السلف في توحيد الربوبية والأسماء والصفات في تفسير الطبري)

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ (٣) أما بعد :

فقد عظّم الله تعالى أمر توحيده في القرآن الكريم، وبيّن مكانته ومنزلته بطرق متعددة وأساليب متنوعة، تارة ببيان أنه الغاية من خلق الجن والأنس فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٤)، وتارة بالتصريح بكونه المقصود من بعثة الرسل – عليهم السلام – كما في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٥)، ومرة بذكره في أول الأوامر والأحكام كقوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا

(١) سورة آل عمران:١٠٢.

(٢) سورة النساء:١.

(٣) سورة الأحزاب:٧٠.

(٤) سورة الذاريات:٥٦.

(٥) سورة النحل:٣٦.

تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [١]، وقوله ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ [٢]، إلى غير ذلك من الصور المختلفة، ومن أبين الأساليب وأوضحها لتعظيم الله سبحانه لتوحيده في القرآن الكريم تصريحه فيه بالشهادة لنفسه بالوحدانية في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ [٣]، وقد رغبت في هذه الدراسة تناول هذه الشهادة في تلك الآية من جانبها العقدي، مع الاستفادة مما ذكره أهل التفسير واللغة حولها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

كان من دوافع دراسة هذا الموضوع ما يلي:

١ – تعلقه بتوحيد الله تعالى الذي يجب العناية به اعتقاداً وفهماً وعلماً وعملاً، ومن أقوى ما يرشد لذلك ويدل عليه تدبر آيات كتاب الله عامة، وما يتصل بالتوحيد خاصة.

٢ – شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية من بين سائر خصائصه كربوبيته للعالمين، وأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم ونحو ذلك يستدعي مزيداً من العناية بمعرفة هذه الشهادة، وأقوال أهل العلم في بيان المراد بها.

٣ – منزلة هذه الشهادة ومكانتها يستوجب المزيد من البحث في المسائل المتعلقة بها، ومثل هذه الدراسة قد تساعد في الوقوف على بعض أسرار هذه

---

(١) سورة النساء:٣٦.

(٢) سورة الإسراء:٢٣.

(٣) سورة آل عمران:١٨.

الشهادة العظيمة.

٤ – لم أقف على دراسة تناولت هذه الشهادة من جانبها العقدي سوى ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [١] ونقل كثيراً منه تلميذه ابن القيم رحمه الله[٢]، وهذه الدراسة محاولة في تتميم جانب من جوانب عمل هذين الإمامين من عدة نواحي منها:

١ – ذكر بعض المسائل التي لم يتناولاها كالرد على من جعل شهادة الله تعالى هي مجرد نصب الأدلة، وتفنيد قول من يزعم عدم صحة هذه الشهادة احتجاجاً بأن الشهادة لا تصح من صاحب الدعوى ونحو ذلك.

٢ – بيان بعض المواطن التي اختلف فيها كلام شيخ الإسلام وابن القيم كعدد مراتب الشهادة حيث جعلها شيخ الإسلام رحمه الله مرتبتين بينما عدها ابن القيم رحمه الله أربع مراتب، وكذلك طرق بيان الله لهذه الشهادة فقد جعلها شيخ الإسلام رحمه الله طريقين، في حين أن ابن القيم رحمه الله ذكر ثلاثة طرق، وغير ذلك[٣].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٨.

(٢) تحدث ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية في موضعين: الأول: في مدارج السالكين ٣/ ٤١٩ وفيه تكلم عما يتعلق بشهادة الله تعالى، ومعناها، ومراتبها، والثاني: في مفتاح دار السعادة ١/ ٤٤ وكان حديثه كله عن دلالة الآية على فضل العلم وأهله حيث ذكر فيها أكثر من مائة وخمسين وجهاً.

(٣) ألف بعض العلماء رسائل مستقلة في تفسير هذه الآية، ولم أقف على شيء منها مطبوعاً، ومما أشير إلى أنه مخطوط:

١ – تفسير قوله تعالى: شهد الله انه لا اله الا هو ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لابن أبي =

٣ – ترتيب المسائل وتنظيمها.

أهداف البحث :

١ – عرض أقوال العلماء في المراد بشهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية، مع ذكر الراجح منها، والرد على من زعم عدم صحتها.

٢ – إيضاح مراتب هذه الشهادة، وطرق بيان الله تعالى لها.

٣ – بيان معنى شهادة الملائكة وأولي العلم لله تعالى بالوحدانية.

خطة البحث : اشتملت على مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

المقدمة وفيها : أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وخطته، ومنهج البحث.

التمهيد : وفيه:

أولاً : تعريف الشهادة في اللغة والاصطلاح.

ثانياً : أنواع شهادات الله تعالى في القرآن الكريم.

المبحث الأول: معنى شهادة الله تعالى لنفسه المذكورة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

المبحث الثاني : منزلة شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

= شريف البرهاني [ت٨٣٦هـ]، منه نسخة في المكتبة الأزهرية برقم ٣٤٠ مجاميع، واللمعة مرآه الله في شرح آية شهد الله، لمحمد علي بن ابي طالب بن عبد الله، الزاهدي، المشهور بالجيلاني [ت١١٨٠هـ]، يوجد منه نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم : ب ٤٣٠٧، وقد وقف الباحث على المخطوط فتبين أنه لأحد مصنفي الشيعة، وينظر بعض مصنفاته في الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآقا بزرك الطهراني ص٨٩، ١٧٥، ٢٤٦.

المبحث الثالث : مراتب شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

المبحث الرابع : طُرُق بيان الله تعالى لشهادته لنفسه بالوحدانية.

المبحث الخامس : معنى شهادة الملائكة وأولي العلم لله تعالى بالوحدانية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

ثبت المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

منهج البحث :

سلكت المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، واتبعت مايلي :

١. استفدت في هذا البحث مما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسيره لهذه الآية، وكذا كلام تلميذه ابن القيم رحمه الله حول الآية.
٢. رجعت إلى أقوال المفسرين وأهل اللغة، وأفدت منها في إعداد هذا البحث.
٣. قد أذكر في موضع واحد أكثر من نقل، إما لزيادة معنى، أو تأكيده .
٤. عزو الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.
٥. تخريج الأحاديث النبوية، وذكر حكم العلماء عليها إذا لم تكن في الصحيحين، أو أحدهما لتلقي الأمة لها بالقبول .
٦. توثيق النقول بذكر مصادرها .
٧. اكتفيت بذكر سنة الوفاة للأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث .
٨. ذكرت المعلومات المتعلقة بالمصادر والمراجع في الملحق الخاص بها في

آخر البحث ، وإذا اختلفت طبعة أي مصدر أو مرجع فإني أشير إليه في موضعه.

وبعد فهذا جهد متواضع، واجتهاد في بيان ما يتعلق بهذه الشهادة العظيمة، فما كان في هذا العمل من صواب فمن الله وحده ﷻ وبفضله وتوفيقه وتسديده، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك .

كما أسأله ﷻ أن يوفقنا لصالح القول والعمل، وأن يرزقنا الفقه في الدين، والسير على طريقة سيد المرسلين ﷺ، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيد

أولاً : معنى الشهادة في اللغة والاصطلاح:

أ – معنى الشهادة في اللغة :

قال ابن فارس [ت٣٩٥هـ]:" ((شهد)) الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك **الشهادة**، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام "(١).

وأصل الشهادة الإخبار بما شاهده وشهِدَه(٢)، وقيل : أصل الشهادة الرؤية، وقد شاهدت الشيء رأيته(٣)، والشهادة اسم من المشاهدة، وهي الاطلاع على الشيء عياناً(٤).

ومن العلماء من فرّق بين الشهادة والعلم فقال :" الفرق بين الشهادة والعلم: أن الشهادة أخص من العلم؛ وذلك أنها علم بوجود الأشياء لا من قبل غيرها، والشاهد نقيض الغائب في المعنى، ولهذا سُمّي ما يدرك بالحواس ويعلم ضرورة شاهداً، و سُمّي ما يعلم بشيء غيره وهو الدلالة غائباً كالحياة والقدرة."(٥)، وقد يُشعر بهذا الفرق قوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَكَ

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٢٢١.

(٢) ينظر : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير٢/ ١٢٥٤، ولسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٣٨.

(٣) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص: ٢٩١.

(٤) ينظر : المصباح المنير للفيومي ص١٦٩.

(٥) الفروق اللغوية ص: ٣٠٥.

ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (١) حيث فرّق سبحانه بين علمه وشهادته.

وكذا فرّق بين الشهادة والحضور فقال :"الشهادة تقتضي العلم بالمشهود ...، والحضور لا يقتضي العلم بالمحضور، ألا ترى أنه يقال حضره الموت ولا يقال شهده الموت، إذ لا يصح وصف الموت بالعلم، وأما الإحضار فإنه يدل على سخط وغضب، والشاهد قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ (٢)"(٣).

والخلاصة أن الشهادة في اللغة تطلق على عدة معان، منها : العلم، والبيان، والحضور، والإعلام والإخبار، والحلف ونحو ذلك(٤) .

ب - معنى الشهادة في الاصطلاح:

للشهادة عدة تعريفات اصطلاحية، وأكثر تلك التعريفات منصرفة إلى تعريف الفقهاء للشهادة في الدعوى والقضاء، ومن ذلك ماذكره الجرجاني رحمه الله [ت٨١٦هـ] حيث قال: "الشهادة هي في الشريعة إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر، فالإخبارات الثلاثة إما بحق للغير على آخر وهو الشهادة، أو بحق للمخبر على آخر وهو

---

(١) سورة المنافقون:١.

(٢) سورة القصص:٦١.

(٣) الفروق اللغوية ص: ٢٩١.

(٤) ينظر في هذا المعاني : تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١/ ٢٣٨، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ١/ ٣١٦، ولسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٣٨،والمصباح المنير للفيومي ص ٣٤٨.

الدعوى، أو بالعكس وهو الإقرار."[1].

وعرّفها بعض الفقهاء بأنها : حجة شرعية تُظهر الحق ولا تُوجبه، فهي الإخبار بما علمه بلفظ خاص[2].

وكذا عرّفت بأنها : رؤية خبرة باطن الشيء ودُخْلَتُه ممن له غنى في أمره، فلا شهادة إلا بخبرة وغنى ممن له اعتدال في نفسه بأن لا يحيف على غيره فيكون ميزان عدل.[3].

والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة، فالشهادة مشتقة من المشاهدة وهي المعاينة، ومن الشهود وهو الحضور؛ لأن الشاهد يحضر حين تحمل الشهادة وأدائها في مجلس القضاء[4].

ثانياً : أنواع شهادة الله في القرآن الكريم :

شهد الله سبحانه في القرآن الكريم على ستة أشياء[5]، ويمكن تقسيم هذه الشهادات إلى قسمين :

القسم الأول : شهادة عامة على كل شيء، وقد ذكرها الله تعالى في عدد من الآيات، كقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾[6]،

(١) التعريفات للجرجاني ص: ١٧٠.

(٢) ينظر : الإقناع للحجاوي ٤/ ٤٣٠، وكشاف القناع للبهوتي ٦/ ٤٠٤.

(٣) ينظر : التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص: ٤٣٩.

(٤) ينظر : أنيس الفقهاء لقاسم القونوي الحنفي ص:٢٣٥.

(٥) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٣/ ٤١٧، وذكر أن الله تعالى شهد على سبعة أمور لكنه لم يذكر إلا ستة أمور.

(٦) سورة النساء:٣٣، وسورة الأحزاب:٥٥.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٤)، وقد بيّن العلماء أن المراد بهذه الشهادة أن الله تعالى شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه (٥)، وأنه شاهد لكل شيء، وشاهد على كل شيء(٦)، فهو عالم بجميع الجزئيات والكليات، شاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه (٧)، لايخفى عليه خافية من الأقوال والأفعال، ولا يتفاوت في علمه الأماكن والأوقات والأحوال(٨)، عالم بخطرات القلوب وهواجسها والضمائر ودواخلها، والنيات ومقاصدها(٩)، لم يغب عنه شيء من الأشياء كائناً ماكان(١٠)، مطلع على كل شيء بعلمه لجميع الأمور،

---

(١) سورة المائدة:١١٧.

(٢) سورة الحج:١٧.

(٣) سورة فصلت:٥٣.

(٤) سورة المجادلة:٦، وسورة البروج:٩.

(٥) ينظر : تفسير الطبري ٢١/ ٤٩٤.

(٦) ينظر : تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٧٣٥.

(٧) ينظر : غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٢/ ٤٠٨.

(٨) ينظر : تفسير أبي السعود ٧/ ١١٣، وروح البيان لإسماعيل حقي ٧/ ٢١٨.

(٩) ينظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ٤/ ٤٥٧.

(١٠) ينظر : فتح القدير للشوكاني ٤/ ٣٤٣.

وبصره لحركات عباده، وسمعه لجميع أصواتهم[1]، ويشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم[2]، ولذا كانت هذه الشهادة على كل شيء كافية في الدلالة على توحيده، وتثبيت رسله عليهم السلام [3].

القسم الثاني : شهادة الله تعالى على أشياء معينة، وهي عدة أنواع[4]، منها :

١ - شهادة الله تعالى على التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5].

٢ – شهادة الله تعالى على صدق الرسول ﷺ في رسالته كقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[6] ، وقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[7].

٣ – شهادة الله تعالى على إنزال القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[8]،

(١) ينظر : تفسير السعدي ص: ١٧٦.

(٢) ينظر : المصدر السابق ص: ٦٧١.

(٣) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٣١٢.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ٤١٧.

(٥) سورة آل عمران:١٨.

(٦) سورة النساء:٧٩.

(٧) سورة الرعد:٤٣.

(٨) سورة النساء:١٦٦.

وقولـه تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[1].

٤ - شهادة الله تعالى على أفعال العباد وأعمالهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا ﴾[3] .

٥ - شهادة الله تعالى على كذب المنافقين كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[4]، وقولـه تعـالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة العنكبوت:٥١-٥٢.

(٢) سورة يونس:٤٦.

(٣) سورة يونس:٦١.

(٤) سورة الحشر:١١

(٥) سورة المنافقون:١.

المبحث الأول : معنى شهادة الله تعالى لنفسه المذكورة في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

أولاً : معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

قبل الحديث عن المراد بشهادة الله تعالى لنفسه الواردة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لابد من الإشارة إلى أنه قد تعددت وتنوعت عبارات العلماء من أهل التفسير واللغة وغيرهم في بيان معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، ويمكن بيان ذلك بما يلي:

١ – معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي : حكم الله، ويروى هذا عن مجاهد رحمه الله [ت١٠٤هـ](١).

٢ – معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي : قضى، وبه قال أبو عبيدة معمر بن المثنى رحمه الله [ت٢٠٩هـ](٢)، وتُعقب بأنه مردود من جهات(٣)، لأن الشهادة ليست بعض الحكم بالشيء، بل هي سبب فيه، وموجب له، فهي غيره، -وأيضاً- فتعلق الحكم حادث لا يقال: حكم فلان بأن (لا إله إلا هو)؛ ولأن لفظ: الشهادة بعيد من لفظة القضاء(٤)، بل قال ابن جرير رحمه الله

(١) ينظر : تفسير البغوي ١/ ٤٢٠، والكشف والبيان ٣/ ٣٢، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٥/ ٩٤.

(٢) ينظر : مجاز القرآن١/ ٨٩.

(٣) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤١٢.

(٤) ينظر : التقييد الكبير للبسيلي ١/ ٤٨٠.

[ت٣١٠هـ]:" فأما ما قال الذي وصفنا قوله من أنه عنى بقوله شهد: قضى، فمما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم؛ لأن الشهادة معنى، والقضاء غيرها "[1]، إلا إن هذا المعنى والذي قبله قد صححهما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [ت٧٢٨هـ] حيث قال :" من قال: حكم وقضى فهذا من باب اللازم فإن الحكم والقضاء هو إلزام وأمر. ولا ريب أن الله ألزم الخلق التوحيد وأمرهم به وقضى به وحكم، إذا شهد الله أنه لا إله إلا هو فقد حكم وقضى بأن لا يعبد إلا إياه. و- أيضاً- فلفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية فيقال: للجمل الخبرية قضية ويقال: قد حكم فيها بثبوت هذا المعنى وانتفاء هذا المعنى، وكل شاهد ومخبر هو حاكم بهذا الاعتبار، قد حكم بثبوت ما أثبته ونفي ما نفاه حكما خبرياً قد يتضمن حكما طلبياً."[2].

٣ - معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي :قال الله، ونسب هذا القول لابن الإعرابي [ت٢٣١هـ] [3]، وهي : لغة قيس.[4].

٤- معنى ﴿ شَهِدَ ﴾ أي : بيّن الله وأظهر، وبه قال أحمد بن يحيى المعروف بثعلب [ت٢٩٠هـ] [5] ، والزجاج[ت٣١١ هـ][6]

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٢٨٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٣- ١٧٤.

(٣) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٧.

(٤) ينظر : إيجاز البيان عن معاني القرآن لأبي القاسم النيسابوري ١/ ١٨٤، والبحر المحيط لأبي حيان ٣/ ٦٠.

(٥) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ٤٧.

(٦) ينظر : معاني القرآن للزجاج ١/ ٣٨٥، الوسيط للواحدي ١/ ٤٢٠.

٥ – من العلماء من جمع هذه المعاني فجعل معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ أي : علم الله، وحكم الله، وأخبر الله، وكتب الله، وأعلم الله، وعَرَّفَ الله[(١)]، ومن العلماء من اقتصر على معنى واحد من هذه المعاني فجعل معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ علم الله[(٢)]، ومنهم من اقتصر على معنى : أخبر الله[(٣)].

هذه أشهر الأقوال في معنى ﴿ شَهِدَ ﴾، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية ¬ أن عبارات المفسرين قد تنوعت في لفظ ((شهد))، وذكر خمسة من هذه المعاني هي : حكم، وقضى، وبيّن، وأعلم، وأخبر ثم قال :"وكل هذه الأقوال وما في معناها صحيحة"[(٤)].

وقال ابن القيم رحمه الله [ت٧٥١هـ] :"عبارات السلف في ((شهد)) تدور على الحكم، والقضاء، والإعلام، والبيان، والإخبار.... وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها. "[(٥)].

(١) ينظر : لطائف الإشارات للقشيري ١/ ٢٢٦، والقاموس المحيط ١/ ٣٧٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٥/ ١٧٢، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٤٩٠، ومحاسن التأويل للقاسمي٢/ ٢٩٥.

(٢) ينظر : تفسير التستري ص٤٧، وتفسير غريب القرآن لغلام ثعلب ص١٨٦،

(٣) ينظر : تفسير العز بن عبدالسلام ١/ ١٤٧.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٩.

(٥) مدارج السالكين ٣/ ٤١٨، وينظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٨٩ فقد نقل نص كلام ابن القيم.

ثانياً : المراد بشهادة الله تعالى المذكورة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

اختلف العلماء في المراد بذلك على قولين :

القول الأول : أن الله شهد بذلك شهادة إخبار وبيان، وشهادة إظهار وإعلام، فتكلم تعالى بهذه الشهادة ، وأخبر بها، ونصب الأدلة عليها، وإلى هذا القول ذهب عدد من العلماء، منهم :

١ – أبو الحسن الأشعري رحمه الله [ت٣٢٤هـ] حيث قال عند رده على من يقول بأن القرآن مخلوق:" لا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة وسمعها من نفسه؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات أو بعد كون المخلوقات، فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات فلم يسبق شهادته لنفسه بالإلهيةِ الخلقَ، وكيف يكون ذلك كذلك ؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحداً قبل الخلق لأن ما يستحيل الشهادة عليه فمستحيل.

وإن كانت شهادته لنفسه قبل الخلق بالتوحيد فقد بطل أن يكون كلام الله -تعالى- مخلوقاً لأن كلام الله شهادته ."[1].

٢ - شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال :"شهادة الرب وبيانه وإعلامه يكون بقوله تارة وبفعله تارة. فالقول هو ما أرسل به رسله وأنزل

---

(١) الإبانة – الأشعري ص: ٧١.

به كتبه وأوحاه إلى عباده كما قال: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [1] إلى غير ذلك من الآيات. وقد علم بالتواتر والاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد ويشهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه؛ وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه ولهذا قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ ﴾ [2]،وأما شهادته بفعله فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل وإن لم يكن هناك خبر عن الله، وهذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والإرشاد "[3].

وقال –أيضاً-:" التوحيد يكون من الله لنفسه فإنه يوحّد نفسه بنفسه كما قال –تعالى-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، والقرآن مملوء من توحيد الله لنفسه."[4].

وقال –أيضاً-:" توحيد الحق نفسه بنفسه، وهو علمه بنفسه وكلامه الذي يخبر به عن نفسه، كقوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾."[5]

٣ – ابن القيم رحمه الله حيث قال :" شهادة الله –سبحانه- لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت ... علم الله –سبحانه- بذلك،

---

(١) سورة النحل:٢.

(٢) سورة الأنبياء:٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى١٤/ ١٧٣-١٧٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٣٥٥.

(٥) منهاج السنة النبوية ٥/ ٣٧٣.

وتكلمه به. "[١].

القول الثاني : أن المراد بشهادة الله تعالى لنفسه هي نصبه الأدلة على وحدانيته، فيكون ذلك على سبيل المجاز والاستعارة، وبه قال أكثر المفسرين[٢]، وبناء على هذا القول فلم يشهد الله تعالى بذلك إلا بنصبه الأدلة فقط، فلايكون هناك خبر وإعلام حقيقي من الله تعالى، وممن صرّح بذلك :

١ – الراغب الأصفهاني رحمه الله [ت٥٠٢هـ] قال :" معنى شهادة الله: إقامة البينة الدالة على ثبوته، وعلى هذا قوله –تعالى-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية، أي: أقام البينة الواضحة على وحدانيته، وأعظم الشهادة ما يقتضي علم المشهود عنده، فالشهادة من الناس قد لا توقع العلم، وشهادة الله إقامة البراهين المثلجة للصدور موقعة للعلم مزيلة للشك، فمن أعظم شهادته إتيانه لمعجزاته كالقرآن الذي هو كما قال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[٣] "[٤]، وقال –أيضاً- :" شهادته لنفسه إيجاده الأشياء دالة على وحدانيته ناطقة بالشهادة له."[٥] ، وقال –أيضاً- " شهادة الله

---

(١) مدارج السالكين٣/ ٤١٩.

(٢) ينظر: تفسير المنار ٣/ ٢١٠.

(٣) سورة الإسراء:٨٨.

(٤) تفسير الراغب الأصفهاني ٤/ ٢٣٣.

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٥٣.

تعالى بوحدانيّته هي إيجاد ما يدلّ على وحدانيّته في العالم، وفي نفوسنا"[(١)]

٢ - الزمخشري رحمه الله [ت ٥٣٨هـ] حيث قال :"شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره، وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف."[(٢)]

٣ – البيضاوي رحمه الله [ت٦٨٥هـ] حيث قال :"بيّن وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها، وإنزال الآيات الناطقة بها."[(٣)].

٤ – علاء الدين الشيحي المعروف بالخازن رحمه الله [ت ٧٤١هـ] قال: "أرشد عباده إلى معرفة توحيده بما بين من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته"[(٤)]

٥ – البقاعي رحمه الله [ت٨٨٥هـ] قال :"المعنى أنه تعالى فعَلَ فعْلَ الشاهد في إخباره عما يعلم حقيقته بلفظ الشهادة جرياً على عادة الكبراء إذا رأوا تقاعس أتباعهم عما يأمرون به من المهمات في تعاطيهم له بأنفسهم تنبيهاً على أن الخطب قد فدح والأمر قد تفاقم، فيتساقط حينئذ إليه الأتباع ولو أن فيه الهلاك تساقط الذباب في أحلى الشراب...، فكأنه قيل: إن ربكم الذي أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قد نصب لكم الأدلة بخلق ما خلق

(١) المفردات في غريب القرآن ص: ٤٦٦.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٣٤٣.
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٩.
(٤) تفسير الخازن ١/ ٢٣٣-.٢٣٤

على تفرده بحيث انتفى كل ريب فكان ذلك أعظم شهادة منه سبحانه"[١].

٦ – أبو السعود رحمه الله [ت١٩٥١هـ] قال :"بيّنَ وحدانيتَه بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والأنفس وإنزالِ الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة إيذاناً بقوته في إثبات المطلوبِ وإشعاراً بإنكار المنكر."[٢]

٧ – الطاهر بن عاشور رحمه الله [ت١٣٩٠هـ] قال :" الشهادة حقيقتها خبر يصدق به خبر مخبر وقد يكذب به خبر آخر كما تقدم عند قوله -تعالى- ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾[٣] . وإذ قد كان شأنه أن يكون للتصديق والتكذيب في الحقوق، كان مظنة اهتمام المخبر به والتثبت فيه، فلذلك أطلق مجازا على الخبر الذي لا ينبغي أن يشك فيه قال -تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[٤] وذلك على سبيل المجاز المرسل بعلاقة التلازم، فشهادة الله تحقيقه وحدانيته بالدلائل التي نصبها على ذلك، .... فإطلاق الشهادة على هذه الأخبار مجاز بعلاقة اللزوم، أو تشبيه الإخبار بالإخبار أو المخبر بالمخبر، ولك أن تجعل «شهد» بمعنى بيّن وأقام الأدلة، شبّه إقامة الأدلة على وحدانيته من إيجاد المخلوقات ونصب الأدلة العقلية، بشهادة الشاهد بتصديق الدعوى في البيان والكشف على طريق

---

(١) نظم الدرر٢/ ٤٢.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/ ١٦.

(٣) سورة البقرة:٢٨٢.

(٤) سورة المنافقون:١

الاستعارة التبعية."[1].

وقد ذكر بعض العلماء القولين ولم يرجح واحداً منها، ومن هؤلاء :

١ – أبو منصور الماتريدي رحمه الله [ت ٣٣٣هـ] حيث قال :" قيل: شهد الله شهادة ذاتية، أي: هو بذاته، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ؛ إذ في ذاته ما تليق الشهادة بمثله له من الألوهية والربوبية، وليس ذلك في ذات غيره، وبالله العصمة.

وقيل: شهد الله بما خلق من الخلائق أنه لا إله إلا هو، أي: خلق من الخلائق ما يشهد خلقه كل أحد على وحدانيته وإلهيته، لو نظروا في خلقتهم وتدبروا فيها."[2].

٢ – الماوردي رحمه الله [ت ٤٥٠هـ] قال :" قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾....يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون معناها الإخبار بذلك ، تأكيداً للخبر بالمشاهدة ، كإخبار الشاهد بما شاهد ، لأنه أوكد للخبر. والثاني: أنه أحدث من أفعاله المشاهدة ما قامت مقام الشهادة بأن لا إله إلا هو." [3].

٣ - الفخر الرازي رحمه الله [ت٦٠٤هـ] حيث قال :" ذكروا في قوله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾ قولين:

أحدهما: أن الشهادة من الله -تعالى- ومن الملائكة، ومن أولي العلم

(١) التحرير والتنوير ٣/ ١٨٦.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٢/ ٣٣٠.

(٣) النكت والعيون للماوردي ١/ ٣٧٩.

بمعنى واحد. والثاني: أنه ليس كذلك، أما القول الأول فيمكن تقريره من وجهين:

الوجه الأول: أن تجعل الشهادة عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم، فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله -تعالى-، وفي حق الملائكة، وفي حق أولي العلم، أما من الله -تعالى- فقد أخبر في القرآن عن كونه واحداً لا إله معه، وقد بينا أن التمسك بالدلالة السمعية في هذه المسألة جائز، وأما من الملائكة وأولي العلم فكلهم أخبروا -أيضاً- أن الله -تعالى-واحد لا شريك له، فثبت على هذا التقرير أن المفهوم من الشهادة معنى واحد في حق الله، وفي حق الملائكة، وفي حق أولي العلم.

الوجه الثاني: أن نجعل الشهادة عبارة عن الإظهار والبيان، ثم نقول: إنه -تعالى- أظهر ذلك وبينه بأن خلق ما يدل على ذلك، أما الملائكة وأولو العلم فقد أظهروا ذلك، وبينوه بتقرير الدلائل والبراهين، أما الملائكة فقد بينوا ذلك للرسل – عليهم السلام –، والرسل للعلماء، والعلماء لعامة الخلق، فالتفاوت إنما وقع في الشيء الذي به حصل الإظهار والبيان، فالمفهوم الإظهار والبيان فهو مفهوم واحد في حق الله تعالى، وفي حق أولي العلم، فظهر أن المفهوم من الشهادة واحد على هذين الوجهين، والمقصود من ذلك كأنه يقول للرسول ﷺ: إن وحدانية الله -تعالى- أمر قد ثبت بشهادة الله -تعالى-، وشهادة جميع المعتبرين من خلقه، ومثل هذا الدين المتين والمنهج القويم، لا يضعف بخلاف بعض الجهال من النصارى وعبدة الأوثان، فاثبت أنت وقومك يا محمد على ذلك فإنه هو الإسلام والدين عند الله هو الإسلام.

القول الثاني: قول من يقول: شهادة الله -تعالى- على توحيده، عبارة عن أنه خلق الدلائل الدالة على توحيده، وشهادة الملائكة وأولي العلم عبارة عن إقرارهم بذلك، ولما كان كل واحد من هذين الأمرين يسمى شهادة، لم يبعد أن يجمع بين الكل في اللفظ."[1]

القول الراجح :

الذي يترجح -والله أعلم- هو **القول الأول** لما يلي :

١ – أن الله تعالى قد شهد بهذه الشهادة قبل خلق الخلق بألوهيته ووحدانيته، ومعنى هذا أن هذه الشهادة قد حصلت قبل نصب الأدلة التي يقول بها أصحاب القول الثاني، ويؤيد ذلك ماورد عن ابن عباس رحمهما الله – أنه قال :" شهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق، حين كان ولم يكن سماء ولا أرض، ولا بر ولا بحر"[2].

قال أبو الليث السمرقندي رحمه الله [ت ٣٧٣هـ] : " ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يعني :أن الله –تعالى– قبل أن يخلق الخلق شهد أن لا إله إلا هو."[3].

٢ – أن القول بأن المراد بالشهادة مانصبه الله من الأدلة على وحدانيته صرف للكلام عن ظاهره وحقيقته إلى مجازه من غير قرينة صحيحة تدل

---

(١) التفسير الكبير ٧/ ١٦٩.

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره المسمى الكشف والبيان ٣/ ٣٢، والبغوي في تفسيره ١/ ٤٢٠، وشيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٨، وسكت عنه.

(٣) تفسير القرآن للسمرقندي ١/ ٢٠٠.

عليه، وهذا خلاف الأولى، وقد أوضح ذلك الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله [ت١٣٨٩هـ] فقال :" فسر بعض الخلف هذه الشهادة على مقتضيات مذاهبهم التي تضطرهم إلى العدول عن الحقيقة إلى المجاز على خلاف ماقرر في الأصول من عدم العدول عن الحقيقة إلا لمسوغ ضروري."[1].

وقد نصّ على ترجيح القول الأول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله [ت ١٣٥٤هـ] حيث قال : " صرح كثير من المفسرين بأن شهادة الله هنا من باب الاستعارة ؛ لأن ما نصبه من الدلائل في الآفاق وفي الأنفس على توحيده وما أوحاه إلى أنبيائه في ذلك يشبه شهادة الشاهد بالشيء في إظهاره وإثباته، وكذلك شهادة الملائكة عبارة عن إقرارهم بذلك كما قال البيضاوي. زاد أبو السعود: وإيمانهم به، وجعلها من باب عموم المجاز، وشهادة أولي العلم عبارة عن إيمانهم به واحتياجهم إليه. وقال بعضهم: إن الشهادة من كلٍ بمعنى واحد، لأنها إما عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم وإما عبارة عن الإظهار والبيان، وكل ذلك حاصل من الله والملائكة وأولي العلم، فالله - تعالى - أخبر بتوحيده ملائكته ورسله عن علم، وبينه لهم أتم البيان، والملائكة أخبروا الرسل وبينوا لهم، وأولو العلم أخبروا بذلك وبينوه عالمين به لا يزالون كذلك. وأقول: إن ما قاله الأولون ضعيف وأقرب التفسيرين للشهادة في القول الآخر أولهما[2]، يقال: شهد الشيء إذا

(١) صفوة الآثار والمفاهيم ٤/ ٦٨.

(٢) يعني : الإخبار المقرون بالعلم .

حضره وشاهده كقوله - تعالى -: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾[1]، وقوله: ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾[2]، ويقال: شهد به إذا أخبر به عن مشاهدة بالبصر وهو الأكثر والأصل، أو عن مشاهدة بالبصيرة وهي الاعتقاد والعلم، كقوله - تعالى - حكاية عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾[3] وذلك أنهم أخبروا أباهم يعقوب بأن ابنه (شقيق يوسف) سرق عن اعتقاد لا عن مشاهدة بالبصر، وإنما سموا اعتقادهم علماً لأنه لم يخطر في بالهم ما يعارض ما رأوه من إخراج صواع الملك من رحل شقيق يوسف بعد ما نودي فيهم بأن الصواع قد سرق. والحاصل: أن الشهادة بالشيء هي الإخبار به عن علم بالمشاهدة الحسية، أو المعنوية وهي الحجة والدليل، وهو المختار هنا."[4].

(١) سورة البقرة:١٨٥.

(٢) سورة النمل:٤٩.

(٣) سورة يوسف:٨١.

(٤) تفسير المنار ٣/ ٢١٠.

المبحث الثاني : منزلة شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

أوضح عدد من العلماء منزلة هذه الشهادة ومكانتها وأهميتها، فوصفوا هذه الشهادة بأنها : أكبر الشهادات وأعظمها[١].

قال أبو الحسن الحَرْالِّي المراكشي [ت٦٢٨هـ]" هذه الشهادة التي هي من الله لله هي الشهادة التي إليها قصد القاصدون وسلك السالكون، وإليه انتهت الإشارة، وعندها وقفت العبارة، وهي أنهى المقامات وأعظم الشهادات، فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراءها مرمى، ومن شهد بما دونها كانت شهادته مشهوداً عليها لا شهادة" [٢].

كما وصف ابن القيم رحمه الله هذه الشهادة بأنها :" أجل شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها من أجلّ شاهد، بأجل مشهود."[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله [ت١٢٨٥هـ]: "اعلم أن أعظم شهادة، وأفرضها على الخلق، قولاً، وعملاً، واعتقاداً، ما شهد الله به لنفسه من اختصاصه بالإلهية، دون جميع خلقه، أزلا وأبدا، قال -تعالى-: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾"[٤].

وعبّر الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله [ت١٣٧٦هـ] عن منزلتها

(١) ينظر : التفسير الكبير ١٢/ ٤٩٧، مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٦.

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي ص: ٥٣٦، وينظر : نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٢٨٩.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤١٨.

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٢١٢.

بقوله :"هذه أجل الشهادات الصادرة من الملك العظيم، ومن الملائكة، وأهل العلم، على أجل مشهود عليه."[1].

ومع وضوح هذه المكانة لتلك الشهادة، وأنها أجل الشهادات وأعظمها وأكبرها إلا إن بعض العلماء أورد إشكالاً على هذه الشهادة يتمثل في أنه ربما يعترض ملحد أو مكذب على هذه الشهادة بأنه لايصح أن يكون صاحب الدعوى هو الشاهد نفسه؛ وقد أجاب عن هذا الاعتراض والإشكال عدد من العلماء منهم :

١ – أبو منصور الماتريدي رحمه الله حيث قال :" إن قال لنا ملحد: كيف صح، وهو دعوى؟!

قيل: لأن دعوى من ظهر صدقه في شهادته إذا شهد، وهو مقبول، وهو بما ادعى من الألوهية والربوبية؛ إذا لم يَسْتَقِلهُ أحد - ظهر صدقه، وقهر كل مكذب له في دعواه، وبالله النجاة."[2].

٢ – كما ذكره أبو بكر الباقلاني رحمه الله [ت٤٠٢هـ] وأجاب عنه بقوله: "قالوا : وما معنى هذه الشهادةُ من الله سبحانه، وأي فائدةٍ وحجةٍ فيها على التوحيد وهي شهادة منه لنفسه؟.

والجوابُ عن ذلك : أن هذه الشهادةَ تنزيه منه لنفسه وتعظيم له تعالى عمّا يقول المشركون المتخذون معه إلهاً غيره.

وشيء آخر وهو أنَّه يجوزُ أن يكون معنى شهادتِه لنفسه بذلك هو ما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص: ٩٦٣.

(٢) تأويلات أهل السنة ٢/ ٣٣١.

أظهَره من إتقان صُنْعه وعجيبِ تَدْبيره في كل حادثٍ وإلزامه إمارة الصُّنْع والالتجاء إلى صانعٍ صَنَعه ومدبر دبَّره لتقومَ دلالةُ أفعالِه على وحدانيته مقامَ الشهادَةِ بذلك، كما يقال: أفعال زيدٍ تشهدُ بعدالته وتُقاه، وأفعالُ فلانٍ تشهدُ بفجورِه وفسوقِه، يعني بذلك أنَّها تَدلُّ دلالةَ الشهادة عليه وله بذلك، ومعنى شهادةُ الملائكة وأُولي العلم له بذلك، هو إيضاحُهم لهذه الأدلّة والتنبيه عليها والدعاءُ إلى النظر فيها، فيكون تنبيههم قائماً مقامَ الشهادة به."[1].

٣– وأورد الراغب الأصفهاني هذا الإشكال مع إشكال آخر بقوله:" إن قيل: ما وجه قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ وقوله: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾[2]، وشهادة المدعي بما يدعيه لا تقتضي زيادة على دعواه.

مع أن هذه الشهادة إن كانت للجاحدين فغير مقبولة، وإن كانت للمؤمنين به ففضْلَةٌ؟. وهل يكفي النبي ﷺ إذا طولب بالدلالة أن يقول: الله شاهد لي بذلك؟."[3].

ثم أجاب عنه بقوله : "قيل: الشاهد العالم بالشيء، المبين لغيره، وأصدق شاهد من يعلم المشهود عند الدلالة المنبئة عن صدقه، وعن كون الأمر على ما شهد به، والبارئ سبحانه وتعالى لما جعل في كل شيء تنبؤاً عن وحدانيته صار له في كل شيء لسان يشهد أنه واحد، وهذا ظاهر."[4].

(١) الانتصار للقرآن للباقلاني ٢/ ٧٤٤.

(٢) سورة النساء:١٦٦.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٢/ ٤٦٣-٤٦٤.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٦٣.

٤ – وفصّل الفخر الرازي الجواب عن هذا الإشكال بوجوه عديدة فقال : "إن قيل: المدعي للوحدانية هو الله، فكيف يكون المدعي شاهداً؟.

الجواب من وجوه:

الوجه الأول: وهو أن الشاهد الحقيقي ليس إلا الله، وذلك لأنه – تعالى– هو الذي خلق الأشياء وجعلها دلائل على توحيده، ولولا تلك الدلائل لما صحت الشهادة[١]، ثم بعد ذلك نصب تلك الدلائل هو الذي وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل، ولولا تلك الدلائل التي نصبها الله – تعالى– وهدى إليها لعجزوا عن التوصل بها إلى معرفة التوحيد، وإذا كان الأمر كذلك كان الشاهد على الوحدانية ليس إلا الله وحده، ولهذا قال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [٢].

الوجه الثاني: في الجواب أنه هو الموجود أزلاً وأبداً، وكل ما سواه فقد كان في الأزل عدماً صرفاً، ونفياً محضاً، والعدم يشبه الغائب، والموجود يشبه الحاضر، فكل ما سواه فقد كان غائباً، وبشهادة الحق صار شاهداً، فكان الحق شاهداً على الكل، فلهذا قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾.

الوجه الثالث: أن هذا وإن كان في صورة الشهادة، إلا أنه في معنى الإقرار، لأنه لما أخبر أنه لا إله سواه، كان الكل عبيداً له، والمولى الكريم لا يليق به أن يخل بمصالح العبيد، فكان هذا الكلام جارياً مجرى الإقرار بأنه

(١) إن كان المقصود لما صحت الشهادة المبنية على تلك الدلائل فقط فصحيح، وإما إن كان المقصود أن الشهادة لم تصّح أصلاً وابتداءً فهذا غير صحيح.

(٢) سورة الأنعام:١٩.

يجب وجوب الكريم عليه [١] أن يصلح جهات جميع الخلق."[٢].

٥ – وذكر ابن عادل الحنبلي ذلك الإشكال وأورد أجوبة الرازي نفسها ، إلا أنه زاد عليها وجهاً آخر جعله هو أول الأجوبة فقال : "إن قيل: المدَّعِي للوحدانية هو الله – تعالى – فكيف يكون المدَّعِي شاهداً؟.

فالجوابُ من وجوهٍ:

أحدها: ما تقدم من أن شَهِدَ بمعنى : قال، أوبَيَّن، أوحَكَم."[٣]

ومعنى هذا أنها لا تكون حينئذٍ دعوى يشهد لها مدعيها، بل إنها قول وحكم ملزم.

٦ – نقل القاسمي [ت١٣٣٢هـ] في تفسيره عن الشعراني [ت٩٧٣هـ] في كتابه الجواهر والدرر أنه قال :" سألت أخي أفضل الدين: لم شهد الحق تعالى لنفسه بأنه لا إله إلا هو؟ فقال رضي الله عنه [٤] : لينبّه عباده على غناه عن توحيدهم له، وأنه هو الموحد نفسه بنفسه."[٥].

---

(١) يعني : أنه هو الذي أوجبه على نفسه.

(٢) التفسير الكبير ٧/ ١٦٩.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٥/ ٩٤.

(٤) لا خلاف في استحباب الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم، وفي غيرهم حُكي الخلاف. ينظر : معجم المناهي اللفظية ص ٢٥٥.

(٥) محاسن التأويل٢/ ٢٩٦.

المبحث الثالث : مراتب شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية .

اعتنى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكذا تلميذه ابن القيم رحمه الله ببيان مراتب هذه الشهادة، وهما وإن اختلف تقسيمهما لتلك المراتب وبيان عددها بحيث جعلها شيخ الإسلام رحمه الله مرتبتين فقال :" الشهادة تضمنت مرتبتين : إحداهما : تكلم الشاهد وقوله وذكره لما شهد في نفسه به. والثاني : إخباره وإعلامه لغيره بما شهد به. "[1]، وجعلها ابن القيم رحمه الله أربع مراتب فقال:" شهادة الله –سبحانه– لنفسه بالوحدانية، والقيام بالقسط: تضمنت هذه المراتب الأربعة: علم الله –سبحانه– بذلك، وتكلمه به، وإعلامه، وإخباره لخلقه به. "[2] إلا إنه اختلاف من باب الزيادة في التنويع والتقسيم، ويظهر ذلك في تداخل بعض المراتب الأربع مع بعضها عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، بينما يرى ابن القيم رحمه الله الزيادة في التقسيم عند ذكر هذه المراتب، وهذه المراتب منها ماهو عام في كل شهادة، ومنها ماكان خاصاً بشهادة الله تعالى، وهذه المراتب الأربع[3] قد ساقها ابن القيم رحمه الله أولاً مجملة فقال :" أول مراتبها: علم، ومعرفة، واعتقاد لصحة المشهود به، وثبوته، وثانيها: تكلمه بذلك، ونطقه

(١) ينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٠.

(٢) ينظر : مدارج السالكين ٣/ ٤١٩.

(٣) ذكر هذه المراتب نقلاً عن ابن القيم ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٥ ومابعدها، والشيخ عبدالعزيز السلمان في الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٣٨ ومابعدها.

به، وإن لم يعلم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها، وينطق بها أو يكتبها، وثالثها: أن يعلم غيره بما شهد به، ويخبره به، ويبينه له، ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به." ثم بدأ بتفصيلها مرتبة بعد مرتبة مستفيداً استفادة ظاهرة مما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وسيكون ذكر هذه المراتب على الطريقة نفسها التي ذكرها ابن القيم رحمه الله؛ لأن الزيادة في التقسيم والتفصيل ربما كانت أنسب في العرض والبيان .

المرتبة الأولى: مرتبة العلم :

شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية شهادة متضمنة للعلم بالمشهود به، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الشهادة بالحق تتضمن العلم ضرورة، وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به [١]، كما قال الله -تعالى-: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [٢]، وهذه المرتبة ليست خاصة بشهادة الله تعالى، بل هي عامة في كل شهادة صادقة[٣] وإلا كانت كذباً وزوراً، ولما كانت هذه المرتبة بتلك المثابة لذا -والله أعلم- لم ينصّ عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ لأنها مرتبة تقتضيها أي شهادة حقة، فكيف بشهادة رب العالمين؟،ولكنه أشار إليها بقوله: "قال ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [٤] فإنه إذا كان عالماً بالأشياء

---

(١) ينظر : مدارج السالكين ٣/ ٤١٩.

(٢) سورة الزخرف:٨٦.

(٣) ينظر : حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ص: ٢٥.

(٤) سورة العنكبوت:٥٢.

كانت شهادته بعلم."[1].

المرتبة الثانية: مرتبة التكلم والخبر:

عدّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذه المرتبة أول المراتب فقال: "الشهادة تتضمن كلام الشاهد وقوله وخبره عما شهد به، وهذا قد يكون مع أن الشاهد نفسه يتكلم بذلك ويقوله ويذكره وإن لم يكن مُعْلِماً به لغيره ولا مخبرا به لسواه. فهذه أول مراتب الشهادة."[2].

وقد أوضح شيخ الإسلام رحمه الله أنه لايشترط للاعتداد بهذه الشهادة التلفظ بلفظ الشهادة[3]، بينما أطال ابن القيم رحمه الله النفس في تقرير ذلك مستشهداً بعدد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية فقال: "من تكلم بشيء وأخبر به فقد شهد به، وإن لم يتلفظ بالشهادة، قال – تعالى-: ﴿ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ ﴾[4]، وقال -تعالى-: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾[5].

فجعل ذلك منهم شهادة، وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة، ولم يؤدوها عند غيرهم، قال النبي ﷺ: (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله)[6] وشهادة

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٩١.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٩.

(٣) ينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٩.

(٤) سورة الأنعام:١٥٠.

(٥) سورة الزخرف:١٩.

(٦) أخرجه أبوداود في كتاب الأقضية ح٣٥٩٩، والترمذي في كتاب الشهادات ح٢٣٠٠ =

الزور هي : قول الزور، كما قال -تعالى-: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [سورة الحج:٣٠] وعند نزول هذه الآية قال رسول الله ﷺ : (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله) فسمّى قول الزور شهادة، وسمى الله –تعالى- إقرار العبد على نفسه شهادة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[1].

فشهادة المرء على نفسه: هي إقراره على نفسه، وفي الحديث الصحيح في قصة ماعز الأسلمي: فلما شهد على نفسه أربع مرات رجمه رسول الله ﷺ[2]، وقال –تعالى-: ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾[3].

وهذا - وأضعافه - يدل على أن الشاهد عند الحاكم وغيره: لا يشترط في قبول شهادته أن يتلفظ بلفظ الشهادة، كما هو مذهب مالك، وأهل المدينة، وظاهر كلام أحمد، ولا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين اشتراط ذلك، وقد قال ابن عباس شهد عندي رجال مرضيون - وأرضاهم عندي عمر - (أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح، حتى تطلع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب الشمس)[4] ومعلوم أنهم لم

= وقال : هذا حديث غريب، وابن ماجة في كتاب الأحكام ح٢٣٧٢، وضعفه الألباني كما في السلسة الضعيفة ٣/ ٢٣٥.

(١) سورة النساء:١٣٥.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحدود ٤٤٠٢.

(٣) سورة الأنعام:١٣٠.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ٥٨١، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين =

يتلفظوا بلفظ الشهادة، والعشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة لم يتلفظ في شهادته لهم بلفظ الشهادة، بل قال: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة) الحديث[1].

وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة وأنه قد دخل في قوله: (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) [2]وفي لفظ آخر: (حتى يقولوا لا إله إلا الله)[3] فدل على أن مجرد قولهم : لا إله إلا الله شهادة منهم، وهذا أكثر من أن تذكر شواهده من الكتاب والسنة، فليس مع من اشترط لفظ الشهادة، دليل يعتمد عليه، والله أعلم."[4].

المرتبة الثالثة: مرتبة الإعلام والإخبار:

أوضح شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله أن لهذه المرتبة نوعين، إعلاماً بالقول، وإعلاماً بالفعل، فقال ابن القيم رحمه الله موضّحاً ذلك: "أما مرتبة الإعلام والإخبار، فنوعان: إعلام بالقول، وإعلام بالفعل، وهذا شأن كل معلم لغيره بأمر: تارة يعلمه بقوله، وتارة بفعله، ولهذا كان من جعل داراً مسجداً، وفتح بابها لكل من دخل إليها، وأذن بالصلاة فيها:

= وقصرها٢٨٦.

(١) أخرجه أبوداود في كتاب السنة ٤٦٥٠، والترمذي في كتاب المناقب ح٣٧٤٧، وابن ماجة في المقدمة ح١٣٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/ ٧١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ح٢٥، مسلم في كتاب الإيمان ح٣٤.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ح٣٩٢، ومسلم في كتاب الإيمان ح٣٢.

(٤) مدارج السالكين بين ٣/ ٤١٩-٤٢١.

معلماً أنها وقف، وإن لم يتلفظ به، وكذلك من وجد متقرباً إلى غيره بأنواع المسار: معلما له ولغيره أنه يحبه، وإن لم يتلفظ بقوله، وكذلك بالعكس، وكذلك شهادة الرب - سبحانه وتعالى - وبيانه وإعلامه، يكون بقوله تارة، وبفعله تارة أخرى."[1].

النوع الأول: الإعلام بالقول:

أوضّح شيخ الإسلام رحمه الله المراد بهذا النوع فقال :" إعلامه يكون بقوله تارة وبفعله تارة. **فالقول** : هو ما أرسل به رسله وأنزل به كتبه وأوحاه إلى عباده كما قال: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [2] إلى غير ذلك من الآيات. وقد علم بالتواتر والاضطرار أن جميع الرسل أخبروا عن الله أنه شهد ويشهد أن لا إله إلا هو بقوله وكلامه؛ وهذا معلوم من جهة كل من بلغ عنه كلامه ولهذا قال -تعالى-:﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾ [3]"[4]

النوع الثاني: الإعلام بالفعل:

المقصود بشهادة الله بفعله هو مانصبه الله تعالى في الكون من الأدلة على وحدانيته، ويرى شيخ الإسلام رحمه الله أن هذا النوع يمكن معرفته

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٢٢، وينظر : مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٣.

(٢) سورة النحل:٢.

(٣) سورة الأنبياء:٢٤.

(٤) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٤، وينظر مدارج السالكين ٣/ ٤٢١.

بالعقل ولو لم يكن هناك خبر عن الله به حيث قال :" شهادته بفعله فهو ما نصبه من الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل وإن لم يكن هناك خبر عن الله "(١)، بينما يرى ابن القيم رحمه الله أن هذا النوع قد تضمنه خبر الله سبحانه فقال " أما بيانه وإعلامه بفعله: فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تعلم دلالتها بالعقل والفطرة "(٢)، ولعل مقصود ابن القيم رحمه الله أن خبر الله سبحانه أرشد إلى استعمال هذه الأدلة التي تدل باستقلالها على وحدانية الله تعالى.

وقد أشار شيخ الإسلام رحمه الله إلى أن هذا النوع يُسمّى شهادة وإن لم يستعمل فيه لفظ الشهادة فقال :" هذا يستعمل فيه لفظ الشهادة والدلالة والإرشاد فإن الدليل يبين المدلول عليه ويظهره، فهو بمنزلة المخبر به الشاهد به كما قيل: سل الأرض من فجر أنهارها وغرس أشجارها وأخرج ثمارها وأحيا نباتها وأغطش ليلها وأوضح نهارها؛ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً. وهو –سبحانه– شهد بما جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه لها فإذا كانت المخلوقات دالة على أنه لا إله إلا هو، وهو سبحانه الذي جعلها دالة عليه؛ فإن دلالتها إنما هي بخلقه وبيّن ذلك؛ فهو الشاهد المبين بها أنه لا إله إلا هو، وهذه الشهادة الفعلية ذكرها طائفة.

قال ابن كيسان رحمه الله [ت٢٩٩هـ]: ﴿شهد الله﴾بتدبيره العجيب

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٨.

(٢) مدارج السالكين ١٤/ ٤٢١.

وأموره المحكمة عند خلقه: أنه لا إله إلا هو[١]"[٢]

بل إن ابن القيم رحمه الله صرّح بأنه "قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ، وقد يسمى شاهد الحال نطقاً وقولاً وكلاماً، لقيامه مقامه، وأدائه مؤداه"[٣].

يدل لذلك قوله -تعالى-: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾[٤] فهي شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله كما قال ابن عباس رحمهما الله في تفسيرها:"شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم للأصنام. "[٥] .

ويتضح بذلك تطابق النوعين الإعلام القولي والإعلام الفعلي، كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله حيث قال :" والمقصود: أن الله -سبحانه- يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه، فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله، ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية، فتتطابق شهادة القول وشهادة الفعل، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[فصلت: ٥٣] ، أي أن القرآن حق، فأخبر أنه يدل بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية"[٦]

---

(١) أورده الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣/ ٣٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٨-١٧٩.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٢١-٤٢٢.

(٤) سورة التوبة:١٧.

(٥) أورده البغوي في تفسيره ٢/ ٣٢٣.

(٦) مدارج السالكين ٣/ ٤٢٢.

المرتبة الرابعة: الأمر بذلك والإلزام به:

وهذه المرتبة خاصة بشهادة الله تعالى؛ إذ إن شهادة المخلوق لاتستلزم مثل ذلك، وقد أبان شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله دلالة شهادة الله تعالى على هذه المرتبة من عدة أوجه، منها[1]:

١ - الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه - فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر، وألزم عباده به، كما قال -تعالى- : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2] وقال -تعالى-: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[3].

٢ - إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر وبيّن وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد وأنه وحده الإله الذي يستحق العبادة.

٣ - هذه الشهادة تتضمن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة ما سواه، فإن النفي والإثبات في مثل هذا يتضمن الأمر والنهي كما إذا استفتى شخص شخصاً فقال له قائل: هذا ليس بمفت؛ هذا هو المفتي ففيه نهي عن استفتاء الأول وأمر وإرشاد إلى استفتاء الثاني.

وكذلك إذا تحاكم إلى غير حاكم أو طلب شيئا من غير ولي الأمر فقيل له: ليس هذا حاكما ولا هذا سلطان؛ هذا هو الحاكم وهذا هو السلطان فهذا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ١٤/ ١٧٢-١٧٣، ومدارج السالكين ٣/ ٤٢٢-٤٢٣.

(٢) سورة الإسراء:٢٣.

(٣) سورة النحل:٥١.

النفي والإثبات يتضمن الأمر والنهي.

٤ – العابدون إنما مقصودهم أن يعبدوا من هو إله يستحق العبادة فإذا قيل لهم :كل ما سوى الله ليس بإله، إنما الإله هو الله وحده كان هذا نهياً لهم عن عبادة ما سواه وأمراً بعبادته وحده.

٥ – لو لم يكن هناك طالب للعبادة فلفظ الإله يقتضي أنه يستحق العبادة، فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمراً بما يستحقه. وليس المراد هنا " بالإله " من عبده عابد بلا استحقاق فإن هذه الآلهة كثيرة؛ ولكن تسميتهم آلهة والخبر عنهم بذلك واتخاذهم معبودين أمر باطل كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[1].

٦ – لفظ الحكم والقضاء يستعمل في الجمل الخبرية، فيقال للجملة الخبرية قضية وحكم وقد حكم فيها بكيت وكيت، قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[2] فجعل هذا الإخبار المجرد منهم حكما، وقال في موضع آخر: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[3] لكن هذا حكم لا إلزام معه، والحكم والقضاء بأنه لا إله إلا هو: متضمن للإلزام.

---

(١) سورة الحج:٦٢.

(٢) سورة الصافات:١٥١-١٥٤.

(٣) سورة القلم:٣٥-٣٦.

المبحث الرابع : طُرُق بيان الله سبحانه شهادته لنفسه بالوحدانية.

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله طريقين لبيان الله تعالى لهذه الشهادة هما : طريق السمع والبصر[1]، بينما جعلها ابن القيم رحمه الله ثلاثة طرق هي : السمع، والبصر، والعقل[2].

وقبل ذكر هذه الطرق يحسُن التنبيه إلى أن شيخ الإسلام رحمه الله أشار إلى أن هذا البيان لهذه الشهادة، وتعريف الله تعالى لخلقه بها أمر لابد منه وإلا لما حصل من تلك الشهادة فائدة، فقال :" إذا كانت شهادة الله تتضمن بيانه للعباد ودلالته لهم وتعريفهم بما شهد به لنفسه فلا بد أن يعرّفهم أنه شهد فإن هذه الشهادة أعظم الشهادات، وإلا فلو شهد شهادة لم يُتَمَكن من العلم بها لم يُنْتَفع بذلك ولم تقم عليهم حجة بتلك الشهادة كما أن المخلوق إذا كانت عنده شهادة لم يبينها بل كتمها لم ينتفع أحد بها ولم تقم بها حجة."[3].

الطريق الأول : طريق السمع:

بيّن شيخ الإسلام رحمه الله المراد بهذا الطريق بقوله :" إذا كان لا بد من بيان شهادته للعباد؛ ليعلموا أنه قد شهد فهو قد بينها بالطريقين: بالسمع والبصر. فالسميع يسمع آيات الله المتلوة المنزلة، والبصير يعاين

(١) ينظر : مجموع الفتاوى١٤/ ١٨٧.

(٢) ينظر : مدارج السالكين ٣/ ٤٢٩، وينظر : شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٤٨ حيث ذكر الطرق الثلاثة.

(٣) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٦.

آياته المخلوقة الفعلية."[١].

ثم ذكر أن طريق السمع لايتم إلا عن طريق مايوحيه الله تعالى إلى أنبيائه عليهم السلام الذين أعطاهم من الآيات مايدل على صدقهم فقال موضحاً ذلك: " الأنبياء إذا أخبروا عنه بكلامه عُرف بذلك شهادته وآياته القولية، ولا بد أن يُعرف صدق الأنبياء فيما أخبروا عنه؛ وذلك قد عرّفه بآياته التي أيد بها الأنبياء ودل بها على صدقهم، فإنه لم يبعث نبياً إلا بآية تبين صدقه إذ تصديقه بما لا يدل على صدقه غير جائز.... فالآيات والبراهين التي أرسل بها الرسل دلالات الله على صدقهم دل بها العباد، وهي شهادة الله بصدقهم فيما بلغوا عنه، والذي بلّغوه فيه شهادته لنفسه فيما أخبر به"[٢].

وقد لفت ابن القيم رحمه الله عند كلامه على هذا الطريق إلى الرد على نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والمعطلة وغيرهم، وأن سمع الآيات المتلوة يستلزم إثبات ماجاء فيها وعدم تحريفه وتعطيله، وإلا كانت هذه الشهادة ليست حقاً، وللزم من ذلك أن يكون الله تعالى قد كتم الشهادة الحقة، فقال :" كيف يظن بالله –سبحانه– أنه كتم شهادة الحق التي يشهد بها الجهمية والمعتزلة والمعطلة، ولا يشهد بها لنفسه، ثم يشهد لنفسه بما يضادها ويناقضها، ولا يجامعها بوجه ما؟ سبحانك هذا بهتان عظيم! فإن الله –سبحانه– شهد لنفسه بأنه استوى على العرش، وبأنه القاهر فوق

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٨٧.

(٢) المصدر السابق ١٨٨-١٨٩.

عباده، وبأن ملائكته يخافونه من فوقهم، وأن الملائكة تعرج إليه بالأمر، وتنزل من عنده به، وأن العمل الصالح يصعد إليه، وأنه يأتي ويجيء، ويتكلم، ويرضى ويغضب، ويحب ويكره، ويتأذى، ويفرح ويضحك، وأنه يسمع ويبصر، وأنه يراه المؤمنون بأبصارهم يوم لقائه، إلى غير ذلك مما شهد به لنفسه، وشهد له به رسله، وشهدت له الجهمية بضد ذلك، وقالوا: شهادتنا أصح، وأعدل من شهادة النصوص، فإن النصوص تضمنت كتمان الحق وإظهار خلافه.

فشهادة الرب تعالى: تكذّب هؤلاء أشد التكذيب، وتتضمن أن الذي شهد به قد بينه وأوضحه وأظهره، حتى جعله في أعلى مراتب الظهور والبيان، وأنه لو كان الحق فيما يقوله المعطلة والجهمية لم يكن العباد قد انتفعوا بما شهد به -سبحانه-، فإن الحق في نفس الأمر - عندهم - لم يشهد به لنفسه، والذي شهد به لنفسه، وأظهره وأوضحه: فليس بحق، ولا يجوز أن يستفاد منه الحق واليقين."[1]

الطريق الثاني : طريق البصر :

سمّى شيخ الإسلام رحمه الله هذا الطريق بالطريق العياني، وأن من يسلك هذا الطريق لايحتاج إلى معرفة كون القرآن حق، بل يكفيه هذا الطريق لمعرفة صدق الرسول ومن ثم تصديقه فيما يُخبر عن الله تعالى، فقال: " أما الطريق العياني فهو: أن يرى العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلّغته الرسل عن الله حق؛ كما قال -تعالى-:

(١) مدارج السالكين ٣/ ٤٣٠.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) أي : أولم يكف بشهادته المخبرة بما علمه وهو الوحي الذي أخبر به الرسول؛ فإن الله على كل شيء شهيد وعليم به، فإذا أخبر به وشهد كان ذلك كافياً وإن لم ير المشهود به، وشهادته قد علمت بالآيات التي دل بها على صدق الرسول، فالعالم بهذه الطريق لايحتاج أن ينظر الآيات المشاهدة التي تدل على أن القرآن حق بل قد يعلم ذلك بما علم به أن الرسول صادق فيما أخبر به عن شهادة الله -تعالى- وكلامه."(٢).

كما أوضح ابن القيم رحمه الله هذا الطريق بقوله :" وأما آياته العيانية الخلقية، والنظر فيها والاستدلال بها: فإنها تدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية، وآيات الرب: هي دلائله وبراهينه التي بها يعرفه العباد، وبها يعرفون أسماءه وصفاته، وتوحيده، وأمره ونهيه، فالرسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلم به، وهو آياته القولية، ويستدلون على ذلك بمفعولاته التي تشهد على صحة ذلك، وهي آياته العيانية."(٣).

الطريق الثالث : طريق العقل :

اكتفى ابن القيم رحمه الله في ذكره لهذا الطريق ببيان أنه يجمع بين طريق السمع وطريق البصر، وأنه يجزم بصحة ماجاء به الرسل عليهم

---

(١) سورة فصلت:٥٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٨٩-١٩٠.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٣٠.

السلام[١].

ومراده – والله أعلم– أن العقل يصدّق ماجاء في السمع ولايكذّبه، ويؤكد أدلة البصر والتفكر والنظر والاعتبار، ومن ثم فقد اجتمعت في هذه الشهادة الأدلة الثلاثة التي هي – السمع والبصر والفؤاد–، والتي يشير إليها القرآن الكريم مجتمعة في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٣] فهذه الأدلة الثلاثة مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد إلى علم بالله تعالى وغيره إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة .[٤]

---

(١) ينظر: مدارج السالكين ٤٣٠–٤٣١.

(٢) سورة الإسراء : ٣٦.

(٣) سورة النحل:٧٨.

(٤) ينظر :تفسير السعدي ص: ٤٤٥.

المبحث الخامس : معنى شهادة الملائكة وأولي العلم لله تعالى بالوحدانية.

اختلفت عبارات العلماء في بيان المراد بشهادة الملائكة وأولي العلم على عدة معان، يمكن إجمالها فيما يلي :

١ – أن شهادة الله تعالى والملائكة وأولي العلم بمعنى واحد، سواء قيل : إن معنى شهادة الله هي الإخبار فالله قد أخبر في القرآن عن كونه واحداً لا إله معه، وأما من الملائكة وأولي العلم فكلهم أخبروا –أيضاً– أن الله سبحانه واحد لا شريك له[١]، أو قيل : إن معنى شهادة الله : البيان والإظهار فالله سبحانه أظهر ذلك وبيّنه بأن خلق ما يدل على ذلك، والملائكة وأولو العلم أظهروا ذلك، وبيّنوه بتقرير الدلائل والبراهين، أما الملائكة فقد بينوا ذلك للرسل عليهم السلام، والرسل للعلماء، والعلماء لعامة الخلق، فالتفاوت إنما وقع في الشيء الذي به حصل الإظهار والبيان [٢].

وربما جعل بعضهم شهادة الملائكة وأولي العلم متطابقة مع شهادة الله سبحانه في الدلالة على الوحدانية كما ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: " إثبات شهادة أولي العلم يتضمن أن الشهادة له بالوحدانية يشهد بها له غيره من المخلوقين الملائكة والبشر. وهذا متفق عليه يشهدون أن لا إله إلا الله، ويشهدون بما شهد به لنفسه.

هو –سبحانه– يشهد لنفسه بالوحدانية، والملائكة يشهدون، وأولو

(١) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٧/ ١٦٨

(٢) ينظر : المصدر السابق

العلم من عباده يشهدون، والشهادات متطابقة متوافقة.

وقد يقال: هذه الشهادة هي هذه، بمعنى أنها نوعها، وليس نفس صفة المخلوق هي نفس صفة الخالق"(1).

٢ - أن المراد بشهادة الملائكة : الإقرار، والمراد بشهادة أولي العلم : الإيمان بها، والاحتجاج عليها بما ذكر من الأدلة التكوينية والتشريعية(2).

٣ – أن المراد بكلا الشهادتين شهادة الملائكة وشهادة أولي العلم هي : إقرارهم، واعترافهم بما شاهدوه من دلائل وحدانيته، وهو قول أكثر العلماء والمفسرين (3).

٤ – ذكر ابن القيم رحمه الله أنه قد " فُسّرت شهادة أولي العلم بالإقرار، وفُسّرت بالتبيين والإظهار، والصحيح: أنها تتضمن الأمرين، فشهادتهم إقرار، وإظهار، وإعلام، وهم شهداء الله على الناس يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ

---

(1) مجموع الفتاوى ٥/ ٣٧٤.

(2) ينظر : السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ١/ ٢٠٣، وتفسير أبي السعود ٢/ ١٧، وفتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ٢/ ٢٠٣، وروح المعاني للألوسي ٢/ ١٠١، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ١٨٦.

(3) ينظر : تفسير الثعلبي ٣/ ٣٢-٣٣، والنكت والعيون للماوردي ١/ ٣٧٩، والوجيز للواحدي ص: ٢٠٢، تفسير الراغب الأصفهاني ٢/ ٤٦٥، وتفسير البغوي ١/ ٤٢٠، والتفسير الكبير للرازي ٧/ ١٦٨، ومجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٨، ومدارج السالكين ٣/ ٤٣٩، وتفسير الخازن ١/ ٢٣٤.

ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ [١] وقال -تعالى-: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [٢].

فأخبر: أنه جعلهم عدولاً خياراً، ونوّه بذكرهم قبل أن يوجدهم، لما سبق في علمه من اتخاذه لهم شهداء يشهدون على الأمم يوم القيامة، فمن لم يقم بهذه الشهادة - علماً وعملاً، ومعرفة وإقراراً، ودعوة وتعليماً، وإرشاداً - فليس من شهداء الله، والله المستعان." [٣].

والذي يظهر – والله أعلم- أن هذا الاختلاف في العبارات إنما هو من باب التنوع لا التضاد، وتفسير للشيء ببعض معانيه؛ إذ إن القول الأول ظاهر في أنه لايراد به القول بأن شهادة الملائكة وأولي العلم مماثلة لشهادة الله سبحانه، يدل لذلك أنه فرّق بين كيفية إخبار الله وبيانه وإظهاره وإخبار الملائكة وأولي العلم وبيانهم وإظهارهم.

ومن جعل المراد بشهادة أولي العلم الإيمان بها والاحتجاج عليها فلا يتصور منه القول بأنه إيمان واحتجاج خالٍ من الإقرار.

ويحسن التنبيه إلى أن عدم التصريح بذكر الرسل - عليهم السلام - في هذه الشهادة لأن أولي العلم أعم الرسل والأنبياء فيدخلون فيها دخولاً أولياً هم وأتباعهم[٤].

---

(١) سورة البقرة:١٤٣.

(٢) سورة الحج: ٧٨.

(٣) مدارج السالكين : ٣/ ٤٣٩.

(٤) ينظر : المصدر السابق ٣/ ٤٣٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له على ما يسّر من إكمال هذا البحث، الذي كان من نتائجه ما يلي :

١ – الشهادة في اللغة أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، وهي إخبار بما شاهده وشهِدَه ورآه، ومن العلماء من فرّق بين الشهادة والعلم، وبين الشهادة والحضور.

٢ – تنصرف أكثر تعريفات الشهادة في الاصطلاح إلى تعريف الفقهاء للشهادة في الدعوى والقضاء وهي إخبار بحق للغير على آخر ونحو ذلك، وبين المعنى اللغوي والاصطلاحي علاقة ظاهرة يرتبطان بمعنى الحضور والإخبار.

٣ – يمكن تقسيم شهادات الله تعالى الواردة في القرآن إلى قسمين، القسم الأول : **شهادة عامة على كل شيء**، وهي المذكورة في عدد من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾، **والقسم الثاني: شهادة الله تعالى على أشياء معينة**، وهي عدة أنواع كشهادته على التوحيد، وصدق الرسول ﷺ، وإنزال القرآن الكريم، وأفعال العباد وأعمالهم، وعلى كذب المنافقين.

٤ – تنوعت عبارات العلماء من أهل التفسير واللغة وغيرهم في بيان معنى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ منها : حكم، وقضى، وقال، وبيّن، وأظهر، وعلم، وأخبر، وقد ذكر شيخ الإسلام وابن القيم – رحمهما الله – أنها كلها معان صحيحة، وحق لا تنافي بينها.

٥ - اختلف العلماء في المراد بشهادة الله سبحانه المذكورة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، على قولين : **أحدهما** : أن الله شهد بذلك شهادة إخبار وبيان، وشهادة إظهار وإعلام، فتكلم سبحانه بهذه الشهادة ، وأخبر بها، ونَصَبَ الأدلة عليها، **والثاني** : أن المراد بشهادة الله تعالى لنفسه هي نصبه الأدلة على وحدانيته، فيكون وصفها شهادة على سبيل المجاز والاستعارة.

٦ – القول الراجح –والله أعلم– هو القول الأول أن الله سبحانه قد شهد بهذه الشهادة قبل خلق الخلق بألوهيته ووحدانيته، ومعنى هذا أن هذه الشهادة قد حصلت قبل نصب الأدلة التي يقول بها أصحاب القول الثاني.

٧ – بيّن عدد من العلماء منزلة هذه الشهادة ومكانتها فوصفوها بأنها أعظم الشهادات، وأكبرها، وأجلها، وأعدلها، وأصدقها، وأفرضها على الخلق، فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراءها مرمى.

٨ – أجاب بعض العلماء عن ما قد يثيره الملحدون والمعاندون في أنه لا يصح أن يكون صاحب الدعوى هو الشاهد نفسه بعدة أجوبة، منها : لأن دعوى من ظهر صدقه في شهادته إذا شهد مقبول، وهو بما ادّعى من الألوهية والربوبية؛ –إذا لم يَسْتَقِلهُ أحد – ظهر صدقه، وأن هذه الشهادةَ تنزيه منه لنفسه وتعظيم له سبحانه عمّا يقول المشركون المتخذون معه إلهاً غيره، وإذا قيل : إن شَهِدَ بمعنى : حَكَم، فمعنى هذا أنها لا تكون حينئذٍ دعوى يشهد لها مدعيها، بل إنها قول وحكم ملزم.

٩ - اختلف تقسيم شيخ الإسلام وابن القيم لعدد مراتب الشهادة، فجعلها شيخ الإسلام رحمه الله مرتبتين، وجعلها ابن القيم رحمه الله أربع

مراتب ، وهو اختلاف من باب الزيادة في التنويع والتقسيم، ويظهر ذلك في تداخل بعض المراتب الأربع مع بعضها عند شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠ – فصّل شيخ الإسلام وابن القيم – رحمهما الله – القول في هذه المراتب الأربع، وهي العلم والاعتقاد، والتكلم والخبر، والإعلام والإخبار، الأمر والإلزام ، وبيّنوا أدلتها من الكتاب والسنة.

١١ – يرى شيخ الإسلام رحمه الله أن الله تعالى بيّن هذه الشهادة بطريقين هما : طريق السمع والبصر ، وزاد ابن القيم رحمه الله طريقاً ثالثاً وهو العقل.

١٢ – اختلفت عبارات العلماء في بيان المراد بشهادة الملائكة وأولي العلم، فمنهم من جعل شهادة الله تعالى والملائكة وأولي العلم بمعنى واحد، ومنهم من جعل المراد بشهادة الملائكة الإقرار، وشهادة أولي العلم الإيمان بها والاحتجاج عليها، وذهب أكثر العلماء إلى أن المراد بشهادة الملائكة وأولي العلم هو : الإقرار، وليس هذا الاختلاف من باب التضاد، بل هو تفسير للشيء ببعض معانيه.

هذا ما يسّر الله تعالى الوقوف عليه وبيانه في هذه الدراسة، فما كان فيها من صواب فمن الله وحده وبتوفيقه وفضله، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

- الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسين علي بن إسماعيل الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية ،١٩٧٥م.
- الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، لموسى بن أحمد الحجاوي، تحقيق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت.
- الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المحقق محمد عبد الرحمن المرعشلي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
- أنيس الفقهاء، لقاسم بن عبد الله القونوي الرومي، تحقيق : يحيى حسن مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤٢٤هـ
- إيجاز البيان عن معاني القرآن، لأبي القاسم محمود النيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ
- بحر العلوم في التفسير، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن

عجيبة الحسني الفاسي، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الطبعة: ١٤١٩ هـ، القاهرة.

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، المكتبة العلمية، بيروت، نشر عباس الباز- مكة المكرمة.
- تاج اللغة وصحاح العربية تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠ .
- تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق : د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير المجيد»،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،الدار التونسية للنشر – تونس ،سنة النشر ١٩٨٤م.
- تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي، تقديم وتحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، كلية أصول الدين تطوان، الناشر: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – الرباط، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.
- التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ.
- تفسير التستري، لأبي محمد سهل بن عبد الله التُستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دارالكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.
- تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي،

دار النشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ.

- تفسير القرآن ،أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي ،المحقق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ،دار الوطن، الرياض السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- تفسير القرآن، لأبي محمد عز الدين عبد السلام ، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ.
- التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
- تفسير يحيى بن سلام ،يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني ،تقديم الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.
- التقييد الكبير، لأبي العباس أحمد بن البسيلي التونسي ، تحقيق عبد الله بن مطلق الطوالة، ١٤١٢هـ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق : محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م
- التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين عبد الرؤوف المناوي،

الناشر: عالم الكتب القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجامع الصحيح المسند من أحاديث الرسول ﷺ وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ هـ، الطبعة الثالثة.
- الجامع الصحيح، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ،المحقق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ،دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤١٨ هـ.
- حاشية كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، الناشر: دار الفكر – بيروت.
- روح المعاني للآلوسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان إدارة الطباعة المنيرية توزيع دار الباز مكة المكرمة.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت،الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، عام النشر: ١٢٨٥ هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ .
- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد بن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت .
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، مراجعة وضبط وتعليق د. محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض .
- السنن الكبرى للنسائي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبدالغفار سليمان البنداري وسيد كسري حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق الدكتور عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لمحمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.
- صفوة الآثار والمفاهيم، للشيخ عبدالرحمن الدوسري، نشر مكتبة دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ
- فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق حسن خان، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت ١٤١٢ هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
- الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق، لشهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي، الناشر: عالم الكتب.
- قاموس اصطلاحات الصوفية لأيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٠٥م.
- كشاف القناع، لمنصور بن يونس البهوتى، الناشر: دار الكتب العلمية.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم الزمخشري، دار

الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ .
- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبدالعزيز بن محمد السلمان نشر رئاسة إدارات البحوث العلميه والافتاء والدعوه و الارشاد، الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٢.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي الشيحي، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ،١٤١٥ هـ.
- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.
- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور، دار صادر.
- لطائف الإشارات، لعبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم وابنه محمد، ط مجمع الملك فهد.
- محاسن التأويل لمحمد جمال القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود،

دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤١٣هـ .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار الحديث، القاهرة .
- معالم التنزيل، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
- معاني القرآن وإعرابه ،إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ،عالم الكتب – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- معجم المناهي اللفظية، لبكر بن عبد الله أبو زيد الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ.
- معجم مصطلحات الصوفية لعبدالمنعم الحفني، دار المسيرة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٨٧ .
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن احمد بن فارس زكريا الرازي، حققه وضبطه عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٣٩٩ .
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة، لبنان .
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام ابن

تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لأبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت والعيون ،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان .
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ .
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .
- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، تحقيق : محمد بن يعقوب التركستاني، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – السعودية/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.